أدب الأطفال
مفهومه ودوره في حياتهم

إعداد أ.د / رشدي أحمد طعيمة(*)

مقدمة:

"الأطفال ثروة الأمم" . هذه حقيقة تلتقي عندها الشعوب، وتجتمع عليها المذاهب، وتتفق فيها الآراء، مع ما بين الشعوب والمذاهب والآراء من اختلافات كبيرة وتفاوتات شتى.

ويصدر الإجماع على ذلك من حقيقة أثبتها العلم وصدقها الواقع. تلك هي أن الطفولة مرحلة أساسية وهامة في حياة الإنسان. ففيها تتحدد معالم شخصيته، ويكتسب أنماط قيمه وسلوكه، ويتعلم مختلف عاداته واتجاهاته. إنها مرحلة نمو للفرد مستمر. كما أنها مرحلة قابلة للتشكيل حسب الصورة التي يقدمها المجتمع له. ومن هنا تحظى هذه المرحلة من مختلف المجتمعات بعناية تناسب مكانتها وقيمتها، والآمال المعقودة عليها.

بل أصبحت النظرة للأطفال والعناية بهم أحد المقاييس الهامة للتقدم الحضاري ومعياراً من معايير تقييم الشعوب. ومظهراً من مظاهر وعي المجتمعات ورقي أبنائها.

وفي ضوء هذا نفهم ما جاء على لسان الفيلسوف والفنان الإيطالي الشهير بندتو كروتشي (1866/ 1925). إذ سئل : على أي أساس تستطيع أن تتنبأ بقدرة الأمة، أية أمة على التقدم والرقي والرفاهية؟ فأجاب قائلاً : " إنه الاهتمام الذي يوجهه الجيل الحاضر بالأجيال القادمة" . ثم هو بعد ذلك هذه الحرية التي يتمتع بها أفراد هذا الجيل الحاضر. حرية الفكر وحرية العمل من أجل توفير حياة أفضل لمن يجيئون بعدهم. اذكروا دائماً أننا إذا وفرنا لأطفال الأمة وشبابها الفرصة لتنمية قدراتهم، وإذا استطعنا أن نقدم لهم المعرفة الكافية التي تمكنهم من إدراك ما يجري بكل ما فيه من حسنات وسيئات، فقد خلقنا جيلاً من الشباب يستطيع أن يقود بلاده نحو مستقبل أفضل. إن المجتمع، أي مجتمع، يصاب بالشلل والمرض إذا أهمل أبناءه. وهو مرض قد يودي بحياة الأمة بأكملها مهما كانت حسنات هذا المجتمع والقائمين عليه في أية مجالات أخرى. إن الشباب هو الحاضر وهو المستقبل وهو ثروة البلاد التي لا تنضب أبداً (مجلة العربي، ص51).

(*) أستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة والعميد الأسبق.

إن بندتو كروتشي، هذا الفيلسوف الإيطالي الأشهر، يثير في إجابته تلك أفكاراً متعددة. ويمس من الأمور والقضايا ما هو جدير بالانتباه إليه، وما كان طبيعيّاً أن يصدر من فيلسوف مثله، ثاقب النظر، عميق الفكر، فالأطفال عُدَّة المستقبل، ومعقد الأمل، ومناط الرجاء.

مظاهر العناية بأدب الأطفال:

من أجل هذا تحظى الطفولة بعناية بالغة في مختلف المجتمعات، وعلى امتداد التاريخ. ولا غرو، فالعناية بالطفولة هي العناية بمستقبل الإنسانية وضمان لإنسان الغد.

والاهتمام بأطفالنا لا حصر لعناصره، ويصعب إحصاء فروعه. وذلك إذا أردنا له شخصية متكاملة ناضجة تعي بعد ذلك مسئوليتها، وتلعب بكفاءة دورها. ويأتي أدب الأطفال في مقدمة مجالات الاهتمام بشخصية الطفل، جسمه وعقله وروحه. وكذلك قيمه ومبادئه وميوله واتجاهاته، وأنماط تفكيره، بل وحاجاته النفسية. وقد أحست مصر بأهمية مرحلة الطفولة، وأدركت ضرورة توفير الإمكانيات المادية والمعنوية التي تكفل لأطفالها تنشئة صحية سليمة. فأقامت لهم مؤسسات صحية وتربوية كثيرة، وأنشأت مراكز لثقافة الطفل، ومسارح خاصة، ومعهدا لأبحاث الطفولة. ورصدت لأدب الأطفال جائزة سنوية كبيرة. فضلاً عما تخرجه لهم المطابع من قصص ومجلات. وكتب. وما يقدَّم من برامج الإذاعة والتلفاز، وقصور الثقافة من نشاط ثقافي متنوع للأطفال. ويتوج هذا عيداً للطفولة تقيمه الدولة كل عام.

مشكلة الدراسة:

ومع تعدد أنواع الكتابة التي تصدر من أجل الأطفال. وبالرغم مما تخرجه المطابع كل يوم لتثقيفهم، إلا أن الشكوى مستمرة وملحة من قلة ما كتب. ومن أن ما كتب، على قلته، لا يتناسب مع هؤلاء الأطفال سواء من حيث شكله أو من حيث محتواه. وربما كان من مظاهر ذلك تعليق الجائزة السنوية لأدب الأطفال أكثر من مرة لعدم توفر الكتابة الجيدة التي تستحقها.

من هنا ارتفعت أصوات الأدباء والنقاد والمسئولين عن رعاية الطفل ورجال التربية وعلم النفس معبرة عن حاجة مجتمعنا إلى دراسة لأدب الأطفال، وتحدد لنا مفاهيمه. وتبين لنا دوره في بناء شخصياتهم وإشباع حاجاتهم، ومناقشة معاييره، وبيان أسس كتابته.

وبالرغم من شدة الحاجة إلى مثل هذه الدراسات إلا أن الموضوع لم يحظ إلا بمقالات متناثرة وكتابات ضئيلة ومؤلفات وأبحاث علمية محدودة.

والهدف من الدراسة الحالية معالجة بعض القضايا المتصلة بأدب الأطفال في المرحلة الابتدائية ودوره في حياتهم وطرق تنمية ميولهم فيه.

أقسام الدراسة :

وتنقسم هذه الدراسة إلى قسمين رئيسين كالتالي :

القسم الأول: مفهوم أدب الأطفال وأهميته .

القسم الثاني: دور أدب الأطفال في إشباع حاجاتهم النفسية .

القسم الأول
مفهوم أدب الأطفال وأهميته

المقصود بأدب الأطفال :

ما المقصود بأدب الأطفال وما مجالاته؟ وما الفرق بينه وبين أدب الكبار؟

يقصد بأدب الأطفال هنا : الأعمال الفنية التي تنتقل إلى الأطفال عن طريق وسائل الاتصال المختلفة، والتي تشتمل على أفكار وأخيلة، وتعبر عن أحاسيس ومشاعر تتفق مع مستويات نموهم المختلفة .

وتتسع مجالات هذه العمال لتشمل عدة أنواع، منها متاحف الأطفال التي يعرفون من خلالها تاريخ الشعوب وتطور الحضارات . ومنها المسارح التي تصل بهم إلى درجة كبيرة من المتعة والتأثر لما تموج به من حركة وما تجسده من شخصيات، وما تنقله إليهم من أحداث ومنها أسطوانات الأناشيد والأغاني التي تنمي في نفوسهم التذوق الأدبي، وتحفزهم على الحركة والنشاط، وتبث فيهم البهجة والمرح . ومنها مجلات الأطفال وصحفهم التي تقدم إليهم الأخبار المختلفة، والمسلسلات والقصص الشائعة . وكما تستقبل إنتاجهم فترعى بذلك هواياتهم، وتنمي مواهبهم . ومنها دوائر معارف الأطفال التي توسع مداركهم وتزيد ثقافتهم . ومنها معاجم الأطفال المصورة التي تشرح المفردات والتراكيب، وتوضح معاني الكلمات ودلالتها فتتحدد مفاهيمهم وتزداد ثروتهم اللغوية . ومنها قصص الأطفال التي تغذي خيالهم وتثير انفعالاتهم، وتشبع حاجتهم على المعرفة والتثقيف . ومنها الكتيبات العلمية البسيطة التي يفهم الطفل من خلالها أسباب الظواهر وأسرار الكون . . وغير ذلك من مواد أدبية مختلفة تشق طريقها إلى الطفل سواء بالكلمة المسموعة أو المقروءة . .

ولا غرو أن ينتقل أدب الأطفال من خلال هذه الوسائط جميعها . فمن خلاله، تغرس القيم، وتنمي المواهب وتكون الاتجاهات وتوسع الميول، وترهف الإحساسات وأشكال التذوق المختلفة، وتشبع الحاجات النفسية المتعددة . وتوثق الصلة بين الطفل وبين الصفحة المطبوعة ولنا أن نسأل : ما الفرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار؟

يتفق أدب الأطفال وأدب الكبار في أمور ويختلفان في أخرى . إن كتابات الأطفال ينبغي أن تخضع لنفس معايير الجودة في الكتابة الأدبية . تلك التي تخضع لها كتابات الكبار . إن الدقة في التعبير ، وحسن العرض ومنطقية البناء ، والتكامل بين أجزاء العمل الأدبي وجمال الصياغة إلى غير ذلك من المعايير التي يرجع إليها عند تقييم كتابات الكبار تنطبق إلى حد كبير على الكتابات التي تتخذ من الأطفال لها جمهوراً . وبعد ذلك لكل منهما خصائصه ومعاييره . إن الشكل الذي يخرج به كتاب للأطفال ينبغي أن يختلف عن ذلك الذي يخرج للكبار ، سواء من حيث الصور والرسوم أو من حيث نمط الكتابة . أو غير من مقومات الإخراج الفني المختلفة . كذلك فإن الطريقة التي تعرض بها الأحداث والمنطق الذي يكن وراءها ، والعلاقات التي تحكمها ينبغي أن تختلف في كل أدب عن الآخر .

ومضمون كتب الأطفال وقصصهم يختلف عن مضمون كتب الكبار ومؤلفاتهم ، سواء من حيث الأفكار أو الشخصيات أو الأماكن أو الأحداث ، أو غيرها من مقومات العمل الأدبي . .

وأخيراً ، فإن اللغة التي يكتب بها للأطفال ينبغي أن تتميز عن تلك التي يكتب بها للكبار .

ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الأعمال الفنية للكبار شيء لا يتذوقه أطفال صغار تنقصهم الخبرة ، وتعوزهم اللغة ، وتضيق بهم أساليب التفكير . وإن من كتابات الكبار ما يتذوقه الأطفال ومن كتابات الأطفال ما يمثل مصدر إمتاع حقيقي للكبار .

أهمية الكتابة الجيدة للطفل :

وإذا كان من حق الأطفال على المجتمع أن يوفر لهم أسباب الرعاية الجسمية الصحية بمختلف أشكالها ، وأن يقيم المؤسسات اللازمة لذلك ، فإن واجب الكتاب والمربين تحقيق الإنماء الفكري للأطفال ، والتوجيه الثقافي لهم وإشباع الحاجات النفسية والروحية عندهم . وذلك بإعداد ما يلزمهم من قصص شائعة وكتابات مناسبة ومؤلفات ينعمون بها .

ولا شك أن السبيل إلى خلق مجتمع من القراء متفتح الذهن ، ناضج الفكر ، واسع الثقافة ، وإنما يبدأ بالأطفال فعقولهم غضة وشخصياتهم مرنة . . وحساسيتهم للتأثر بالغة . ومن هنا كان للكتابات غير الجيدة في حياة الأطفال أثر بالغ السوء . حيث تمثل هذه الكتابات في معظم الأحيان ، ما يتوقون على تحقيقه في حياتهم ، ومن ثم يعمدون إلى محاكاتها ، وتقليد أنماط سلوك الأشخاص فيها . وتنطوي بعض هذه الأنماط على اتجاهات فردية وعدوانية مما يترسب بعد ذلك في نفوس هذه البراعم فكراً غير ناضج ، واتجاها غير إيجابي ، وأنماطاً غير مرغوب فيها .

ولا يخفى أن مثل هذه الكتابات غير المناسبة للأطفال شكلاً ومضموناً ، أسلوباً ومحتوى ، تثد ما يبتدر في نفوسهم من ميل إلى القراءة ، وتدفعهم ، وهم في مقتبل العمر ، إلى البعد عنها . وفي هذا كله يكمن الخطر الشديد وتقوى الحاجة البالغة لأن يعد الكتاب والمؤلفون ما يناسب مستوى أبناء هذه

المرحلة من كتابات تصل بينهم وبين القراءة، وتنمي فيهم ما نود نشره من قيم. وما نبتغي تنميته من اتجاهات.

تأثيرات الأدب في شخصيات الأطفال:

للأدب تأثير كبير في تنمية شخصيات الأطفال، فهو :

1ـ يساعد الأطفال على أن يعيشوا مرة أخرى خبرات الآخرين، ومن ثم تتسع خبراتهم الشخصية وتعمق.

2ـ يتيح الفرصة للأطفال لكن يشاركوا بتعاطف شديد وجهات النظر الأخرى والمشكلات وصعوبات الحياة التي يواجهها الآخرون.

3ـ يمكن الطفل من أن يفهم أنماط الثقافات الأخرى، وأساليب الحياة فيها، ما كان منها معاصرا، وما يضرب في أعماق التاريخ.

4ـ يوسع آفاق الأطفال ويجعل منهم شخصيات متسامحة تتقبل الغير، وتتفهم ثقافته وتشعر أن أسلوبهم في الحياة ليس هو الأسلوب الوحيد، وأن ثقافتهم ليست الثقافة الوحيدة. . إن هناك من الثقافات ما يفرض علينا احترامه إن لم نقبله.

5ـ يساعد بشكل علاجي في التخفيف من حدة المشكلات التي يواجهها الأطفال. . . إذ يزود الطفل القارئ ببصيرة عن مشكلات أصدقائه الصغار، ويتعرف على سبل مواجهتها. فيزداد ثقة بنفسه وقدرة على مواجهة ما واجهوه.

6ـ ينمي عند الأطفال الاتجاهات الطيبة نحو الكائنات الأخرى، العقائد الأخرى، المهن الأخرى، المؤسسات الأخرى. . إلى غير ذلك من مجالات تتفاوت فيها أساليب الحياة.

7ـ ينمي عند الأطفال ثروتهم اللغوية. ويبني عند كل منهم رصيداً من المفردات والتراكيب التي تيسر له فهم ما يقرأ، وتسعفه عند الرغبة في التعبير. . فضلاً عن تمكنه من أن ينقد أسلوبيا ما يتصل به.

8ـ يدفع الأطفال لأن يطيلوا المتعة التي يحصلون عليها من القراءة عن طريق أشكال أخرى من الفن. . كأن يمثلوا هذه الشخصيات، أو يرسموها أو يصوروها، أو يستخدموا الألوان المختلفة في إبرازها، أو يكتبوا قصصاً صغيرة من وحي ما قرأوه. بل قد يقرضون شعراً. . إن الأدب بذلك نقطة انطلاق، أو منصة وثوب لأنشطة إبداعية كثيرة يعبر عنها الطفل في أشكال مختلفة. . . وبإيجاز، فإن أدب الأطفال يمكن أن يزودهم بفهم لأسباب السلوك الإنساني. . إن لكل سلوك دوافع، ظاهرة كانت أم خفية. ومن الممكن عن طريق الكتب أن يتعرف الطفل على ما يكمن وراء أشكال السلوك المختلفة من أسباب وما يحركها من دوافع. .

و من الممكن للطفل، عن طريق الأدب الذي يكتب له، أن يفهم الحاجات الأساسية التي يشترك فيها الجنس البشري في مختلف الأعمار والشعوب.

القسم الثاني
دور أدب الأطفال في إشباع حاجاتهم النفسية

مقدمة :

نتناول في هذا القسم الحديث عن دور أدب الأطفال في إشباع حاجاتهم النفسية . .

ويستلزم هذا أن نعرض لمفهوم الحاجة النفسية ، وأنواع الحاجات وتصنيفها ، حتى نناقش بالتفصيل ما يمكن لأدب الأطفال عمله في إشباع هذه الحاجات .

مفهوم الحاجة النفسية :

النمو عملية مطردة تصحب الكائن منذ مولده ، إنها تتبع نسقاً معيناً ، ونظاماً محدداً ، وخطة متكاملة . ويستلزم بقاء الكائن الحي إشباع حاجات معينة ، كما يتطلب القيام بأنشطة بذاتها والتكيف مع حقائق متجددة تشتمل عليها هذه العملية الديناميكية . والكائن الحي لا ينمو في فراغ ، وإنما ينمو في مجتمع معين ذي ثقافة معينة ، ولابد كي يتفاعل مع هذا المجتمع وكي تتكون له مع أفراده علاقات وأواصر ، من أن يشبع مجموعة من الحاجات النفسية المتجددة بتجدد أشكال هذه العلاقات ، والمتباينة بتباين أنماط الثقافة واتجاهاتها . إن الحاجة النفسية حالة من التوتر الذي يشعر به الفرد ويسعى على التخفيف منه أو إزالته . . ويترتب على عدم التخفيف من حدة هذا التوتر حالة من الضيق تتفاوت درجتها ونوعها بتفاوت الحاجات التي عجز الفرد عن إشباعها . وقد تصل هذه الحالة إلى درجة المرض النفسي الذي يهدد صحة الفرد ونموه المتكامل .

أنواع الحاجات النفسية :

تزخر دراسات علم النفس النمو بقوائم متعددة للحاجات النفسية ، وطرق مختلفة لتصنيفها . ومن بين قوائم لحاجات النفسية ما زالت قائمة ميوري Murray (1938) وقائمة ماسلو (1943) تحظيان بمكانة خاصة (Carrison, K.A Maggoon, P : 199) .

وفيما يلي عرض لقائمة ماسلو إذ تنطلق في أساسها من قائمة ميوري المفصلة وإن كانت تعرضها بشكل مكثف وأكثر تنظيماً . والحاجات في قائمة ماسلو تأخذ شكل الترتيب الهرمي الذي يبني إشباع بعضها على إشباع ما يسبقها من حاجات . . ويوضح الشكل رقم (1) هذه الحاجات كما جاءت في البناء الهرمي ، ويتضح أن الحاجات الفسيولوجية للفرد تعتبر الأساس الذي يبني عليه إشباع باقي الحاجات .

شكل رقم (1)

البناء الهرمي للحاجات عند مسلو

ومن هذا البناء الهرمي يتضح أن للحاجات أساسيين : أساساً فطرياً، وأساساً اجتماعياً. . الحاجات ذات الأساس الفطري هي تلك التي يسميها ماسلو بالحاجات الفسيولوجية. وهي الحاجات الأولية كالحاجة إلى الغذاء والإخراج والنوم. . إلخ. ويعتبر إشباع هذه الحاجات النفسية، كما هو واضح في البناء الهرمي عند ماسلو، أساساً يعتمد عليه إشباع الحاجات النفسية الأخرى وهي حسب ترتيبها تصاعدياً :

1ـ الحاجات الفسيولوجية Physiological
2ـ الحاجة إلى الأمن Safety
3ـ الحاجة إلى الحب والانتماء Love and Belonging
4ـ الحاجة إلى التقدير Esteem
5ـ الحاجة إلى تحقيق الذات Self – Actualization
6ـ الحاجة إلى المعرفة والفهم Desire to Know and Understand

هذه الحاجات الست يمكن أن تنحل إلى حاجات نفسية أخرى كثيرة، كما يتضح من الدراسات النفسية عن حاجات النمو.

ففي بعض الكتابات يتم تصنيف هذه الحاجات تحت أربعة أنواع رئيسة : حاجات جسمية، ووحاجات وجدانية، وحاجات اجتماعية. وتشتمل هذه الأنواع باستثناء الحاجات الجسمية على حاجات كثيرة منها : الحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى التفكير، والحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى تأكيد الذات، والحاجة إلى الرفاق، والحاجة إلى المعرفة والحاجة إلى سلطة ضابطة أو مواجهة، والحاجة إلى النجاح، والحاجة إلى المحبة أو التقبل، والحاجة إلى التعبير، أو كما تسمى

باكتساب المهارة اللغوية. والحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى الاطمئنان. ويضيف راث Raths إلى هذه الحاجات ثلاث حاجات يراها رئيسة بالنسبة للحاجات النفسية الأخرى. هذه الحاجات هي :

- الحاجة إلى التحصيل أو الإنجاز Need for Achievement - الحاجة إلى التحرر من الخوف Need to be free from fear.
- الحاجة إلى التحرر من الذنب أو الإحساس به Need to be relatively free from guilt.

ونرى أن هذه الحاجات معظمها إن لم يكن كلها ترتبط إلى حد كبير بالحاجات التي اشتملت عليها قائمة ماسلو السابقة.

من أجل ذلك يتناول القسم التالي الحديث عن الحاجات النفسية ودور أدب الأطفال في إشباعها. وثمة ملاحظة ينبغي الإشارة إليها قبل الحديث عن هذه الحاجات. تلك هي أن ماسلو يدمج كلا من الحاجة إلى الحب والحاجة إلى الانتماء في حاجة واحدة.. إلا أنه رأى الفصل بينهما عند الحديث عن الحاجات النفسية لاعتبارات عدة، منها الإحساس بأهمية كل منهما، ومنها أن كلا منهما يتناول جانباً معيناً من جوانب الشخصية، ومنها أن معظم الدراسات النفسية تفصل بينهما. هذا مع إدراك مدى ما بين هاتين الحاجتين من تكامل حيث يؤدي إشباع إحداهما على المساهمة في إشباع الأخرى.

دور أدب الأطفال في إشباع الحاجات :

للأدب دور في إشباع كافة الحاجات عند الأطفال. إلا أننا سوف نركز في هذا الحديث على دور أدب الأطفال في إشباع حاجاتهم النفسية كما وردت في قائمة ماسلو بدءاً بالحاجة إلى الأمن.

(أ) **الحاجة إلى الأمن**: تقف الحاجة إلى الأمن على رأس الحاجات النفسية للكائن البشري سواء من حيث الأهمية، أو من حيث الجهد المبذول لإشباعها، ومجالات الحياة التي تشتمل عليها..

إنها محور تدور حوله حركته ويستهدفها نشاطه، وليس من العسير التعرف عليها وراء أي جهد يبذله كائن حي. كما لا يخطئ الملاحظ أن يفرق بين أطفال يتمتعون بالإحساس بالأمن وبين أطفال يفتقدون إليه. وتمتد الحاجة إلى الأمن لتشتمل عدة أنواع.. منها ما يتعلق بحماية الفرد من الأخطار التي تهدده، ومنها ما يتعلق بمستقبله الوظيفي. ومنها ما يتعلق بمستواه الاقتصادي. ومنها ما يتعلق بمركزه الاجتماعي... إلخ. وتستطيع كتابات الأطفال أن تشبع معظم هذه الأنواع. إن قصص الأطفال تستطيع إشباع الحاجة إلى الأمن المادي إلى حد كبير.. إن كثيراً من قصص الأطفال التي يشيع فيها الحديث عن ثراء الأبطال أو قدراتهم المادية الخارقة قد كتبت بواسطة مؤلفين ليس لهم من هذا الثراء حظ! إن من هذه القصص أيضاً قصصا تصور حياة أبطال عانوا من الفقر كثيراً، وحرموا أساسيات الحياة. ومع ذلك ناضلوا وصبروا حتى تخطوا عقبات الفقر وكسروا حواجزه، واستطاعوا أن يبنوا لهم حياة جديدة يتمتعون فيها بالاستقرار الاقتصادي والأمن المادي.. إن مثل

هذه القصص تبعث في نفوس المعوزين من الأطفال طاقة على مواجهة ظروفهم. وجهداً للتخلص منها أملاً في أن تنتهي بهم هذه المواجهة بمثل ما انتهت به مواجهة أبطال القصص كلها لها.. إن الطفل لا يعدم أن يتعلم من بعض هذه القصص دروساً حول طريقة الخروج من مأزق المادة وظروف العوز.. ولعل الطفل يستطيع استثمار ما يقرأه، ولعل في إمكانه أن يطبق ما قرأه أو أن يتقمص شخصية أحد هؤلاء الأبطال.

والحاجة إلى الأمن النفسي يمكن أيضاً إشباعها عن طريق أدب الأطفال، إن كثيراً من قصص الأطفال ينتصر فيها الحب بين أفراد العائلة والترابط الوثيق بينهم على ما يواجههم من مشكلات. ولا شك أن مثل هذه القصص التي يشيع فيها حب الآخرين وحرص كل من أفراد الأسرة الواحدة على بعضهم البعض. والتآزر بينهم للتمكن من مواجهة مواقف الحياة المختلفة، نقول أن أمثال هذا القصص تشبع إلى حد كبير حاجة الطفل إلى الإحساس بالطمأنينة والأمن... إنه يتابع باهتمام شديد أحداث القصة ليرى كيف يسلك كل من أفراد العائلة تجاه الآخرين. كما يتابع الخط الذي تنمو فيه هذه العلاقة.. إن من المؤلم أن يتنازع أفراد الأسرة الواحدة في القصة بالشكل الذي يجعل الحياة قاتمة يسيطر عليها الصراع ويذهب بهجتها التنازع، ويحرم الإنسان من الأمن فيها حرص الآخرين على الفوز مهما خلّف ذلك من عواقب أو أعقبه من آثار.

وأخيراً، فللقصص الديني دور الكبير في إشباع الحاجة إلى الأمن عند الطفل. إن القصص الذي يعرض على الطفل صور الجهاد المختلفة التي مر بها أصحاب العقائد، تستحثه على أن يتشبه بهم وأن يبذل مثلما بذلوا من جهد إقراراً لمبدأ وتأكيداً لقيمة، أو دفاعاً عن عقيدة. وكذلك فإن القصص الديني الذي يتحدث عن وجود الله سبحانه وتعالى، وقدرته غير المحدودة تشبع بلا شك الحاجة إلى الأمن نفس الطفل، إذ إن ذلك يبث عنده الإحساس بالأمل والثقة بأن ثمة من يحميه من مخاوفه ويرد عنه مصادر الخطر. ويدافع عنه إزاء خصومه من كائنات الطبيعة الأخرى.. وهذا بلا شك رهن بالطريقة التي تقدم به هذه المفاهيم. إن المفاهيم الدينية على وجه الخصوص منطقة من مناطق المعرفة التي يمكن أن يتحقق عن طريقها إشباع الحاجة إلى الأمن كما يمكن في نفس الوقت بث الرعب والخوف الشديد.

(ب) **الحاجة إلى الحب**: الحاجة إلى الحب تعني أمرين : أن يحب الإنسان الآخرين : To Love وأن يحبه الآخرون To be Loved. إن الطفل في مسيس الحاجة إلى والدين يبادلهما حباً بحب.. إلى أسرة يتوحد معها.. إلى أصدقاء يحبهم ويحبونه.

والحاجة إلى الحب تأتي كما في البناء الهرمي للحاجات عند ماسلو. في المرتبة الثالثة بالنسبة للحاجات العامة للفرد. ولكنها تأتي في المرتبة الثانية مباشرة من حاجات الطفل يسبقها الحاجة إلى الأمن.. ولقد أثبتت دراسات نفسية كثيرة بأن الحرمان من المحبة والحنان كفيل بأن يؤثر تأثيراً سلبياً

وخطيراً على نمو الطفل في مختلف الجوانب جسمياً وعقلياً ووجدانياً واجتماعياً. لقد لاحظ أنتونوفسكي . . Antonovskey . . من نتائج الأبحاث النفسية التي قام بمسحها ودراستها عن علاقة الطفل بأمه، أن الأطفال الذين تمتعوا بحب أمهاتهم قد أظهروا استعداداً للاعتماد على أنفسهم دون الانتظار للعون من الآخرين أو الاتكال عليهم. كما كانوا أقل عدوانية من غيرهم ممن حولهم الذين حرموا من هذا العطف وتلك المحبة. فضلاً عن أنهم كانوا أكثر ابتكاراً وأقدر على المباداة. إن مما يؤلم الطفل أن يشعر بأنه منبوذ من جماعة مقصى عنها. ومما يؤلمه أيضاً ألا يبادل حباً بحب، وألا يقدر الآخرون شعوره نحوهم وحبه لهم. ولكم يجرح أحاسيس الإنسان ويطعن كرامته أن يبذل الحب صادقاً للآخرين ثم لا يجد عوضاً أو مردوداً أو تقديرا متبادلا، لهذا تظهر العلاقة وثيقة بين الحاجة إلى الحب والحاجة إلى الانتماء.

وأدب الأطفال يستطيع إلى حد كبير إشباع هذه الحاجات. إن الطفل الذي يقرأ قصة لأسرة سعيدة بأبنائها يشيع الحب بين أفرادها، أخذا وعطاء، إنما تتاح له الفرصة لأن يبادلهم هذا الحب. وأن تنتقل إليه هذه المشاعر. بل قد يتقمص شخصية أحد أطفالها ممن يحظون بهذا الحب في أسرهم، والحاجة إلى الحب، كما هو معروف، يبدأ إشباعها في أسرة الطفل قد تتسع دائرته لتشمل الكون كله. . إنه يشعر بسعادة وهو يتبادل هذه العاطفة مع الآخرين. مع رفاقه، مع معلميه. مع غيرهم ممن يتصل بهم. بل قد تتسع هذه الدائرة لتشمل الآخرين من بلاد مختلفة، وثقافات متباينة. بل قد يحب الكائنات الأخرى التي تعيش معه في هذا الكون.

إن القصص التي تقدم للطفل أشكالاً مختلفة للعلاقات مع هؤلاء القوم وهذه الكائنات إنما توسع من دائرة الحب عنده وتغرس في نفسه الاتجاهات الطيبة نحوهم. . والطفل الذي ينشأ على حب الآخرين يتقبل منهم ضعفهم، ويشاركهم آلامهم، ويرثى لأشكال العجز التي تصيب بعضهم. . إنه يتوحد مع الكون. . ويحترم فيه عناصر القوة ويخافها. ويقدر فيه أشكال الضعف ويحس بها. ولنقرأ معا ما كتبته طفلة معبرة عن تأثير إحدى قصص الأطفال عليها. تقول : " لقد أثرت في قصة الحيوان الأعمى تأثيراً كبيراً. . فما كنت قبل ذلك أظن أن الحيوانات العمى تستطيع أن تتحرك هنا هناك، أو أن تلعب ببعض الحيل. . كنت أعتقد أنها دائماً ينبغي أن تقتل. ولكنني الآن أصبحت أعتقد أنه مع شيء من الصبر تستطيع الحيوانات الضريرة أن تتعلم كيف تقضى شئونها من أجل أن تعيش في هذا الكون. . ينبغي أن يكون لها رفاق. . وهم أولئك الذين يرغبون في مساعدتها. . إن الحيوانات كائنات تستحق التقدير تماماً كالكثير من البشر. . وعندما كنت في رحلة أقضيها في هذا الصيف شاهدت أعمى يلعب الكمان. . لقد كان ينتقل بنفسه مسافرا من مكان لآخر. . وقتها تذكرت الحيوان الأعمى الذي قرأت قصته. . إنني لن أتعامل مع ضرير آخر بعد ذلك إلا بالطريقة التي أتعامل بها مع المبصرين. لن أنظر إليه أبداً ولن يخالجني الشعور بأية حال

على أنه أعمى . . وبدلاً من أن أعبر عن إشفاقي عليه سوف أعبر عن إعجابي الشديد به . . بشجاعته، وصبره، وقدرته على أن يتعلم الأشياء بنفسه " (Smith, N. B, PP. 271 - 279) .

لقد تعلمت هذه الطفلة من القصة التي قرأتها أن تحب كل من حرم من نعمة البصر . وليس فقد البصر وحده بالذي يجعل الإنسان الأعمى! . لم تعد هذه الطفلة تحس بفارق في منطق المعاملة بين أن يكون الإنسان أعمى أو أن يكون بصيراً . . كلاهما يستحق الاحترام وكلاهما يستأهل التقدير والإعجاب . بل قد يكون الأول أحق بذلك لقدرته على تحمل ما أصيب به واعتماده على نفسه وتصريفه لشئونه .

وفي قصص الأطفال بمصر ما يشبع إلى حد ما هذه الحاجة إلى الحب عند قراءتها من الأطفال . . إن في قصص الكيلاني وأحمد نجيب وعبد التواب يوسف ما يمس هذا الوتر في حياة الطفل وما يقدم له نماذج من علاقات الحب بين الطفل والآخرين .

إن مجرد قصة لقطة كبيرة تحنو على أبنائها . وتدافع عنهم تترك في نفس الطفل من الأحاسيس والمشاعر ما قد تعجز عنه كلمات الوعظ أو الحث على أن يحب غيره .

وأخيراً، فإن الطفل الذي يحرم في حياته من إشباع الحاجة إلى الحب أخذاً وعطاء قد يجد في القصص التي تصور هذه العاطفة عوضاً وعزاء .

(ج) **الحاجة إلى الانتماء**: من أهم ما يحتاجه أن يشعر بالانتماء إلى جماعة ما تتقبله ويتقبلها . ومن أقسى ما يشعر به الإنسان أن تنبذه جماعة كان يتمنى الانتساب إليها والارتباط بها والعمل من أجلها . إن الحاجة إلى الانتماء حاجة تنشأ مع الطفل منذ أن يدرك أن له أسرة هو عضو فيها . وأن له والدين يتعلق بهما ويتعلقان به . . وينتقل الإحساس بالانتماء مع الطفل مع كل مرحلة من مراحل نموه . إنه يشعر بالانتماء في أول الأمر إلى والديه وإلى أسرته، ويتكون له مع الزمن صداقات معينة . وينضم إلى جماعات مختلفة يعتز بها وتعتز به . . يتقبل مبادئها ويدافع عنها . ويفخر بالانتساب إليها .

إن الطفل يتحرك في دوائر اجتماعية مختلفة يشعر بالحاجة إلى الانتماء إليها في أسرته، في مدرسته، مع أصدقائه . . في مجتمع الطفل المحلي، ثم في وطنه الكبير . وأدب الأطفال يستطيع بتناوله حركة الطفل في هذه الدوائر المختلفة أن يشبع الحاجة إلى الانتماء عنده . . إن القصة تصور العلاقة طيبة بين أفراد الأسرة الواحدة حيث يشعر كل منهم بمكانته فيها، وتقديره لغيره من الأطفال، له مكانة في أسرته . . إن القصة التي تصور طفلاً سعيداً في مدرسته يسند إليه معلمة أدوارا معينة، ويشركه في نشاط محدد، إنما تمس عند الطفل القارئ حاجة هامة يشعر بها ويتوق إلى إشباعها تلك هي الحاجة إلى الانتماء .

ونفس القول يصدق على تلك القصص التي تصور أطفالاً حرموا من إشباع هذه الحاجة وناضلوا حتى ظفروا بها، سواء على مستوى الأسرة أو الأقارب أو المدرسة أو المجتمع المحلي أو الوطن العربي الكبير . .

وتذكر أربثنوت (Arbuthnot, M.H. P24) أن القصص التي تتناول مجتمع الأقليات وحرص أفرادها على الانتماء إليها والنضال في سبيلها تترك أكبر الأثر لدى الطفل وتحظى بتقدير شديد منه .

إن من هذه القصص قصة Little Navajo Blue Bird للمؤلفة آن نولان . وفيها تعبر طفلة من الهنود الحمر عن بغضها للرجل الأبيض . وعن حرصها الشديد لأن تنتمي فقط إلى قبيلتها، ولم تبهرها حضارة الرجل الأبيض ولم تجذبها شخصيته لأن تتخلى عن ثقافتها أو تعزف عن قيمتها .

إن من هذه المبادئ التي يخرج بها الطفل من قراءة أمثال هذه القصص أن لكل إنسان جماعته التي ينتمي وينبغي أن يفخر بها . إن احترام الإنسان لثقافته وحرصه على قيمها يشبع عنده حاجة من حاجاته النفسية الهامة، ألا وهي الحاجة إلى الانتماء . . وعن تأثير الأغاني والأناشيد على الأطفال طلب من بعضهم كتابة رأيهم فيما قرأوه من شعر فكتب أحدهم معبراً عن رأيه في قصيدة " America For Me " فيقول :

" This poem made me realize how nice to be an American "

وكيف تغيب عنا كلمة مصطفى كامل الشهيرة : " لو لم أولد مصرياً لوددت أن أكون مصرياً " ! إن كتابة قصص للأطفال تدور حول هذه القيم، وتغرس هذه المبادئ، يشبع إلى حد كبير حاجة الطفل إلى أن ينتمي إلى وطنه وأن يعتز به .

(د) **الحاجة إلى التقدير**: من أخطر ما يتعرض له الإنسان في حياته الإحساس بالضعة أو الشعور بالنقص . . وبأنه لا ينال التقدير اللازم ولا يحظى بالاحترام المنشود . . إن كثيراً من أشكال السلوك العدواني تعود في مصادرها الأولى إلى حرمان الطفل من التقدير . . إن الثقة بالنفس لا تنمو في محيط اجتماعي يشعر فيه الفرد بالضعة . . إن الثقة بالنفس اتجاه ينشأ لدى الطفل من الأسلوب الذي يعامله به غيره . . فإذا كان تقديراً زادت، وإذا كان امتهاناً ضؤلت . ولقد يدفع حرمان الطفل من التقدير إلى الإتيان بأعمال يجذب بها انتباه الآخرين . وحتى ولو حظى من جرائها بتقدير مؤقت .

وترتبط هذه الحاجة كما هو واضح بالحاجة إلى تأكيد الذات، إن لدى الطفل إحساساً بالحاجة لأن يعمل أفضل ما يستطيع وأن يأتي من المهارات وأن يبذل من الجهد ما يحظى من الآخرين بتقدير، وهذا مما يشبع لديه الحاجة إلى كل من التقدير وتأكيد الذات .

والقصص التي سبق الحديث عنها من أنها تنمي لدى الطفل حاجته إلى الانتماء، وتلك التي

تنمي لديه الحاجة إلى تأكيد الذات يمكن لها أن تشبع إلى حد كبير حاجته إلى التقدير . إن القصص التي يتمتع فيها طفل بمكانة خاصة في أسرته ، والتي تسلك فيها الأسرة سلوكاً طيباً نحوه وإشعاره بأنه مرغوب فيه ، وأن وجوده شيء لازم لهم ، وأنه عنصر نافع يمكن إسناد مسئولية له ، وأنه يستطيع القيام بشيء ما ولو كان صغيراً . . وأن عمله هنا يقابل بما يستأهله من تقدير . . نقول : إن أمثال هذه القصص تشبع إلى حد كبير هذه الحاجة عند الطفل . وأنه يستطيع بشكل ما وفي مجال معين أن يكون مثله وأن يحظى بما حظى به غيره . والطفل الذي لا يتمتع بالتقدير في واقع الحياة قد يجد من خلال وجوده مع أبطال القصص التي يقرؤها ، خاصة إذا كانت لهم مع هذا الطفل ظروف مشابهة ، أو تجمع بينهم أحاسيس مشتركة .

والإحساس بالقدرة على إتيان أمر أو القيام بعمل معين يرتبط في ذهن الطفل بالخوف من الفشل والحرص على أن يبذل قصاري جهده تفاديا لخطأ أو خوفا من فشل .

وقصص الأطفال تستطيع أن تلعب هنا دوراً . وإن من أمتع أشكال النجاح ذلك الذي يعقب فترات من الجهاد يسيل فيها العرق ويبذل فيها الجهد . تختلط فيها المحاولة بالخطأ ، والنجاح بالفشل . وما أكثر قصص الأطفال التي تصور لهم هذه الحقيقة وتقدم إليهم هذه النماذج ، وتبين لهم واقع الحياة . أن من الفشل ما يصنع النجاح وإن من الهزيمة ما ينتهي إلى فوز . . مما يبث في نفوسهم الثقة في غد مشرق . والأمل في نجاح مرتقب . ومن ثم في تقدير محقق .

(هـ) **الحاجة إلى تحقيق الذات**: يقصد ماسلو بالحاجة إلى تحقيق الذات أن لدي كل فرد إحساسا بأنه يستطيع عمل شيء ما وأن يكون هذا العمل ذا قيمة . . إن الذي يشعر بأن لديه استعدادا يؤهله لأن يكون موسيقيا لن يهدأ له بال إلا إذا مارسها حتى ولو كان باستطاعته أن يزاول عملا آخر إن مفهوم المرء عن ذاته Self Concept وتصوره لقدراته من الأمور الهامة التي تحدد له مستقبله وأسلوب حياته . يقول ماسلو . على قدر ما يستطيع المرء ينبغي أن يكون " What a man can be he must be " إن لدى كل إنسان ميلا إلى تحقيق ذاته من خلال توظيف طاقاته التي بها يحس ، وإمكاناته التي بها ينفرد . وجدير بالذكر أن هذه الحاجة تنمو لدى الطفل كلما تحقق إشباع ما يسبقها في سلم الحاجات النفسية عند ماسلو (الحاجة إلى الأمن ، والحاجة إلى التقدير ، والحاجة إلى الحب والانتماء) . والحاجة إلى تحقيق الذات حاجة هامة من حاجات الطفل التي يسعى لإشباعها بمختلف الوسائل وفى مختلف المجالات ، وهى مرتبطة بحاجته إلى الاستقلال ، وأن يشعر بنفسه كذات مستقلة لا تدور في فلك الوالدين ولا تعتمد في كل شيء عليهما ويحقق الطفل ذاته عن طريق العمل والرغبة في الإنجاز . . إنه يريد أن يشعر بأنه يستطيع عمل شيء ما دون الحاجة إلى عون من أحد أو اتكال على آخرين .

وقد تدفعه هذه الحاجة ، إذا لم تشبع لديه ، للمقاومة والعناد وأتباع أشكال من السلوك يشعر

فيها بذاته بالرغم من مخالفتها قيم الجماعة أو اتجاهاتها، وأدب الأطفال يستطيع أن يلعب في إشباع هذه الحاجة دورا. بل إن القراءة في ذاتها تمهد للطفل طريق الاستقلال عن والديه إن القراءة في ذاتها نشاط يلجأ إليه برغبة وحماس. إذ يجد فيها ذاته. يقضى فترة من الزمن بعيدا عن قيود الآخرين.

إن القراءة تخرج الطفل لسويعات من طوق عاطفة الأمومة والأبوة المفرطة التي تعود الطفل في كثير من الأحيان على الأنانية وحب الذات. وهذه بالتالي تحول بينه وبين الجرأة والشجاعة والتضحية والإخلاص لأن عاطفة الأم والأب إزاء الطفل تلتقي في النهاية مع الأنانية ومن الكتب التي تشبع عند الطفل حاجته إلى تأكيد ذاته قصص البطولة. حيث تلعب إحدى الشخصيات فيها الدور الكبير. تحرك من خلالها، وتستقطب حولها الآخرين. والبطولة هنا تتسع لتشمل مختلف مجالات الحياة.

إن من البطولة بطولة وطنية تدور قصصها حول بعض الزعماء أو القادة الذين أخلصوا لبلادهم.. أو تدور حول أبطال المقاومة الذين حاربوا في سبيل بلادهم فانتصر منهم من انتصر واستشهد من استشهد.

ومن البطولة بطولة دينية تدور قصصها حول الأنبياء وعلماء الدين الذين لعبوا دوراً كبيراً في إعادة تشكيل الحياة في المجتمع الإنساني. ومن بطولة علمية تدور قصصها حول المكتشفين والمخترعين الذين أسعدوا البشرية بما قدموا لها من إمكانيات.

ومن البطولة بطولة حربية تدور قصصها حول العسكريين والمحاربين الذي حققوا لبلادهم النصر فيما واجهته من معارك وما خاضته من حروب.

ومن البطولة بطولة اجتماعية تدور قصصها حول مصلحين اجتماعيين كان لهم دور الريادة في بناء مجتمعاتهم وإرساء دعائم القيم فيها..

ومن البطولة بطولة نسائية تدور قصصها حول نساء غيّرن وجه التاريخ سواء في التربية أو الدفاع أو في التكنولوجيا أو في غيرها من ميادين الحياة.. إن القصص التي تصور للأطفال هذه الأشكال المختلفة للبطولة إنما تقدم لهم رصيدا أدبيا جيداً يتزودون فيه بالأفكار والمواقف التي يتوقون للمرور بها. ومحاكاة سلوك الأبطال فيها.. والبطولة في قصص الأطفال ليست مقتصرة على عالم البشر.. وإنما تمتد لتشمل أشكالا أخرى من البطولة في عالم الحيوان.. وإن قصة تدور حول طائر يدافع عن عشه، ويحمى فراخه ضد طائر آخر أو حيوان يهدده، إنما تقدم للطفل نموذجاً للنضال ضد قوى البغي والعدوان وكيف يمكن للمرء أن يلعب في ذلك دورا.

وقصص المغامرات أيضاً تشبع حاجة الطفل إلى تحقيق ذاته. إن فيها الحركة السريعة.. والعمل الدائب والحيلة الذكية والنضال المستمر والمواقف الحية والصراع الشديد.

إن في هذه القصص ـ فضلا عن دورها في إشباع الحاجة إلى تأكيد الذات ـ متنفسا لميول الطفل العدوانية ورغبته في مواجهة المخاطر .

ويظهر الميل إلى هذا النوع من القصص ، قصص البطولة والمغامرات في السنوات الأخيرة من عالم الطفولة ، خاصة أن الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة يكون بصدد تكوين فكرة عن ذاته . وتحديد معالم شخصيته واختيار الطريق الذي سوف يشقه في مستقبل حياته الوظيفية . . كما يبحث عن إطار قيمى يتحرك من خلاله ويضع في ضوئه معايير السلوك ومستويات الأداء إن المثل الأعلى يتكون في هذه الفترة . وما أسوأ أن يخطئ الطفل في اختيار أبطاله . وكثيرا ما يتحقق ذلك إذا كان ما يقرؤه يدور حول شخصيات عدوانية أو أبطال مخربين . أو أفراد بنوا لهم مجدا دون أساس واضح أو على حساب غيرهم . . ولعل هذا ما يوضح المسئولية الكبرى التي تقع على عاتق مؤلفي قصص الأطفال الذين يختصرون الطريق لجذب الأطفال لقصصهم ، وشدهم إليها . فيختارون لقصصهم من الشخصيات ما يستثير في نفوس هذه البراعم نوازع الشر ويحطم إمكانات النماء .

والتقمص ظاهرة طبيعية يمر الطفل بها عند قراءته أمثال هذه القصص . إن الطفل إذا ما اندمج مع القصة التي يقرؤها فإنه بشكل إرادي أحيانًا ولا أرادي أحيانًا أخري ، يتقمص إحدى شخصيات هذه القصة طبقاً لميوله نحوها ، أو قدرتها على أن تمس جانبا في شخصيته تتفق معه أو حاجة أعوزه إشباعها في واقع الحياة .

وثمة عدة حقائق تتعلق بظاهرة التقمص عرضها رسل . . Russell في دراسته عن التقمص من خلال أدب الأطفال . . يقول رسل :

1ـ يتقمص الطفل بشكل سريع الشخصية التي تماثله أو تتفق معه .

2ـ إن التقمص عند الطفل عملية إيجابية يحس فيها بذاته .

3ـ إن الطفل بعد سن الثالثة يستطيع أن يميز بين الحقيقة والخيال وهو يتقمص الشخصيات الأخرى .

4ـ قد يساعد التقمص في عملية التطبيع الاجتماعي للطفل .

5ـ للتقمص دور في تحقيق العقلية للطفل وتنمية قدراته فيها .

6ـ تقمص الطفل مع جماعة ما ذو قيمة كبيرة له في حياته .

7ـ ينبغي إتاحة خبرات تربوية جيدة يستطيع الطفل خلالها أن يتقمص شخصيات تستأهل ذلك .

يضاف إلى هذين النوعين من القصص ، البطولة والمغامرات ، نوعان آخران يمكن عن طريقهما إشباع حاجة الطفل إلى تأكيد ذاته . أولهما ذلك النوع الذي يتحدث عن وظائف أو مهن أو حرف أو غيرها . ومما يفتح عين الطفل على مجالات الحياة والعمل فيها . وثانيهما قصص السيرة الذاتية التي تتحدث فيها شخصيات معينة عن حياتها ، فقد يجد الطفل بين الخط الذي سارت فيه هذه الشخصية وبين حياته تشابها وصلة .

(و) **الحاجة إلى المعرفة والفهم**: منذ أن يدرك الطفل العالم من حوله تنشأ لديه حاجة هامة من حاجاته العقلية، تلك هي الحاجة إلى الاستطلاع. إنه يحب أن يتعرف على أشياء كثيرة تحيط به.. يؤثر فيها أحيانا وتؤثر فيه أخرى.. وهو في ذلك يطرح أسئلة كثيرة ينبغي الإجابة عليها. وتقف هذه الحاجة على رأس الحاجات النفسية الأخرى في البناء الهرمي السابق.. إن ماسلو يربط بين هذه الحاجة وبين دافع التحصيل Achievement Motivation. إن الحاجة إلى الاستطلاع أو الرغبة في المعرفة والفهم تعتبر في رأي ماسلو المحرك الأساسي وراء دافع التحصيل عند طفل المرحلة الابتدائية. ولعل هذه الرغبة عند الأطفال هي التي تكمن وراء حرص آبائهم على شراء كتب لهم تتسع من خلالها أفكارهم.. وتنمو بقراءتها مفاهيمهم وتتكون عن طريقها اتجاهتهم، وتحدد عن طريقها ميولهم. ويتعرفون منها على أسرار الكون وغوامض الحياة.

وبنظرة خاطفة على كتابات الأطفال نجد أن معظم هذه الكتابات قد ألف خصيصا ليشبع الحاجة إلى المعرفة والفهم عند الطفل. إن كتب المعلومات Information Books تتسع لتشمل كل جوانب المعرفة الإنسانية وتمس مختلف أشكال العلاقة بين الكائنات الحية وظواهر الطبيعة.. تشبع هذه الحاجة عند الطفل كتب الحيوانات والطيور والظواهر الطبيعية ومظاهر التقدم التكنولوجي. فضلا عن الأجناس الأخرى والمجتمعات التي يتكون من مجموعها هذا العالم الكبير.

وهنا يبرز بوضوح الدور الذي يمكن أن تلعبه دوائر معارف الأطفال. تلك التي تقدم لهم وبشكل مبسط أسلوبا، وطريقة وأفكارا، ما يحتاج إلى معرفته من حقائق الكون وأسرار الحياة.. إن الحاجة ماسة للطفل العربي لأن تؤلف له من دوائر المعارف هنا ما يشبع حاجة نفسية هامة لديه. إن طفل القرن العشرين يعيش في عصر التكنولوجيا.. عصر مراكب الفضاء. وتخطي حدود الكوكب الأرضي.. العصر الذي حقق الإنسان أقصى درجات التقدم على مدى تاريخ البشرية.

ولا شك أن الآلات والأجهزة وأساليب التكنولوجيا المختلفة تترك في نفس الطفل كثيراً من الأسئلة التي ينشد الإجابة عليها وهنا تلعب القصص والكتيبات العلمية للأطفال دوراً كبيراً في إشباع حاجتهم إلى معرفة أسرار هذه التكنولوجيا، وطرق التحكم فيما يحيط به منهم.

والحاجة إلى المعرفة والفهم عند الطفل تدفع به لأن يتخيل أشكالا من العلاقات بين الظواهر التي يراها والتي يجهل سرها.. إن الطفل يمتلك قدرة على التخيل كبيرة، وحب الاستطلاع والتخيل عمليتان تمضيان معا في طريق واحد.. ومن هنا تظهر أهمية نوعين من القصص يستطيع كل منهما إشباع هذه الحاجة عند الطفل، كما يستطيع تنمية القدرة على التخيل لديه.. هذان النوعان هما القصص الخيالية وقصص المستقبل. والصلة بين هذين النوعين صلة وثيقة. والخيال يتيح للطفل أن يتصور المستقبل وأن يتطابق معه بصورة عقلية مسبقة. من هنا تشبع قصص المستقبل حاجة في نفسه.. إذ تنمي الخيال العلمي. وتوقظ الفكر الناقد وتستثير الملاحظة الواعية. كما تدرب على الربط بين الظواهر والتنبؤ بها وبحركتها.

ويمثل ما تظهر لهذا النوع من القصص أهمية كبرى. تظهر خطورته عندما ينمي لدى الطفل خيالا هداما. يفصل بينه وبين واقعه بشكل سيئ أو بطريقة تبث في نفسه الخوف والحذر من أشياء لا واقع لها في عالمه. أو يتوقع في مستقبله أن يتصل بها.

الحاجة إلى المعرفة والفهم لا تقتصر على الجانب العلمي في حياة الطفل كاتصاله بظواهر الطبيعة أو أدوات التقدم التكنولوجي. . إلخ وإنما تظهر هذه الحاجة في ميدان العلاقات الإنسانية مع الآخرين. إن للسلوك البشري دوافع قد يتعذر على الكثيرين ملاحظتها. والطفل شأنه شأن الكبير. يتوق إلى استكشاف هذا العالم ومعرفة الدوافع التي تجعل الناس يسلكون سلوكا معينا.

وكتب الأطفال يمكن أن تزود قراءها بفهم لدوافع السلوك الإنساني. إن لكل سلوك سببا قد يكون ظاهرا وقد يكون خفيا. وفى قصص الأطفال فرص متاحة لهم ليتعرفوا من خلالها على الأساليب الخفية وراء هذا السلوك. . إنه يستطيع أيضاً أن يتعرف على الحاجات الأساسية التي يشترك فيها الجنس البشري في مراحل النمو المختلفة وفى الشعوب الأخرى.

إن من الحاجات التي قد يعجز الطفل في أواخر طفولته وأوائل مرحلة المراهقة عن التعرف على كشفها، أو معرفة طرق التعامل الصحيح إزاءها، الحاجة الجنسية. . ولعل في قصص الأطفال ما يتناول الحديث عنها وما يعلم الطفل كيفية إتباعها.

كما أن من حقائق الحياة ما يقف أمام الطفل لغزاً لا يدري كيف يفهمه ومشكلة لا يعرف كيف يحلها. إن الميلاد والخلق والموت والعدم ظواهر تحيط بالطفل كل يوم وهو إزاء كل منها عاجز الحيلة، قاصر التفكير. وكتابات الأطفال تستطيع بلا شك إشباع قدر كبير من هذه الحاجة. . فقد يجد الطفل من بين ثنايا القصص ما يجعله أسرار ما لا يمكن له فهمه. . وتقبل ما يعز عليه أو على الآخرين إدراكه.

المراجع:

1ـ مجلة العربي، الكويت، أبريل 1973.

2- Carrison, K.C. & R.A. Maggoon, Educational Psychology, Columbus, Charles E. Marritt Publishing Company, 1972.

3- Smith, N. B. "Some Effects of Reading on Children" Elmentary English Review, Vol. 25,May,1948.

4- Arbuthnot. M. H. Children and Books, Chicago, Scott Foresman and Company, 3rd Ed., 1957.